ولهذا فإن التوجه الفكري للأدب وتطوره وانسجامه مع هذا التوجه كثيراً ماكان يخضع للفكرة الدينية ويتلون بلونها ، وسوف نلاحظ أن الأشكال والأنواع الأدبية قد تأثرت بمدى انسجام الإنسان مع العقائد الدينية السماوية أو انحرافه عنها ، وهذا يفسر لنا نشوء بعض الأنواع الأدبية لدى اليونان انطلاقاً من حياتهم الوثنية التي لم تستمد توجيهاتهامن عقيدة سماوية مباشرة ، كظهور الفن التمثيلي عندهم ، وعدم استساغته لدى المسلمين على الرغم .. من التفاعل الحضاري بينهما .

إن الحياة الإجتماعية والإقتصادية التي تتطور على ضوء ولادة الأفكار وتطور عناصرها ، تلقي ظلالها على الأدب نفسه وتحدث فيه كثيراً من مظاهر التطور في بنيته الفكرية باعتبارها جزءاً من الثقافة العامة للعصر ، وهذا خلاف ماتراه الماركسية من تطور الفكرة على ضوء تطور القاعدة الإقتصادية ، كما مر علينا . . .

ولكن ثمة سؤال ، كنا أرجأنا الجواب عنه في موضوع العلاقة بين الشكل والمضمون ، وهو هل إن كلّ فكرة جديدة تستدعي بالضرورة شكلاً جديداً ؟

تجيب نظريات الخلق والإبداغ الغربية بأن التجديد نفسه غير مرتبط أساساً بعالم الأفكار ، فلا علاقة له إلا بقوانين الفن ذاته وعالمه الإلهامي الخاص ، وبالتالي فلا ينبثق الجديد في الشكل عن الجديد في الفكر .

أمانظريات الإنعكاس الماركسية فتجيب بالإيجاب،أي بضرورة انعكاس الفكرة على الشكل الأدبي ، هذا إذا نبهنا إلى أن الفكرة في الفهم الماركسي ليس لها عالم خاص ، بل هي وليدة الحركة المادية ، وانعكاس لها

يقول المنظر الماركسي أرنست فيشر (إن المحتوى الجديد يفجر ، حيث كان حدود الأشكال القديمة ويخلق أشكالاً جديدة) (١٠) ، ويربط ذلك بعالم الطبيعة والنبات ، فالنبتة التي تغير طريقة غذائها (محتواها) فإن شكلها سوف يتغير أيضاً . وهذا خروج من الناحية التطبيقية والنظرية على استثناء ماركس الذي أشرنا إليه من قبل .